«أمينة» هى المبتدأ والخبر، سماء «الثلاثية» وأرضها، وما طار طير وارتفع ـ فى الثلاثية أو فى غيرها ـ إلا كما طار وقع فى حضن «أمينة» كما وقعت أنا.

لم يصف نجيب محفوظ «أمينة» كثيراً.. فهى فوق الوصف، رغم مهارته وقدرته الفذة على ذلك، بل ترك القارئ يصفها لنفسه بنفسه، فقط نقل صفحات من حياتها بإحكام وشاعرية لا نظير لهما.

ظلمنا «أمينة» كثيراً فى أفلامنا وحياتنا وتحليلاتنا، حيث أظهرناها بائسة طوال الوقت، ساذجة، أو كما قال عنها ابنها «كمال»: «أمينة هى الرقة الجاهلة».

لم تكن أبداً بهذا الضعف الذى قد يتصوره البعض، فأحياناً يكون الغضب قلة حيلة، ودائماً يكون الصبر.. أقوى حيلة.

من هنا كان ضعف السيد «أحمد عبدالجواد»، على عكس ما يتبدى من مظهره وصوته و«شخطه» و«شتائمه» فى الجميع داخل البيت ـ وأحياناً ـ خارجه.

ومن هنا أيضاً جاءت قوة «أمينة»، فهى أرضت غرور الرجال ـ زوجها ونحن ـ بمظهرها المطحون، المنكسر، الضعيف، لكن حقيقتها كانت على العكس من ذلك، فتحت الجلد والصوت الضعيف تستيقظ دوماً ولا تنام روحها المشحونة بالعطاء، وسر شخصيتها الذى اسمه: «الواجب».

كان السيد «أحمد عبدالجواد» يشعر بهذا السر خارج البيت فقط، فجاء سلوكه هناك طبيعياً محبوباً من الجميع، إلا أنه كان ينسى